مصطلح الأسلوب عند محمد عبد المطلب-البلاغة والأسلوبية نموذجا

The Term Style for Muhammad Abd al-Muttalib Rhetoric and Stylistics as a model

كميلة بربري*
berberikamila90@gmail.com
جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)

تاريخ الارسال:2020/09/27 تاريخ القبول: 2020/12/04 تاريخ النشر:2021/03/01

الملخص:

تطرقنا في هذا البحث إلى ماهية المصطلح , وكذا مفهوم الأسلوب عند الباحثين والنقاد والكتّاب العرب ، إلا أنّ الجدل لا يزال قائما بين الباحثين حول مفهوم محدد له ,كما سلطنا الضوء على المواضيع التي درسها محمد عبد المطلب في كتابه 'البلاغة والأسلوبية .حيث بحث في مفهوم مصطلح الأسلوب في التّراث العربي ، والعلاقة بين البلاغة والأسلوب .

الكلمات المفتاحية :المصطلح ,الأسلوب ,البلاغة ,النص الأدبي .

Abstract:

We discussed in this research the essence of the term, as well as the concept of style among Arab researchers, critics, and writers, but debate still exists among researchers about a specific concept for it, and we also shed light on the topics studied by Muhammad Abdul-Muttalib in his book, Rhetoric and Stylistics. The concept of the term style in Arab heritage, and the relationship between rhetoric and style

Key words: term, style, rhetoric, literary text

لا يختلف اثنان في أنّ للمصطلحات دوراً أساسياً وفاعلاً في تكوين المعرفة، وأن أي ثقافة كانت لن تنهض ويستقيم صرحها إلا إذا أفلحت في إنتاج معرفة خصبة وجديدة توجهها اصطلاحات واضحة الدلالة.

كما أن المصطلح هو الذي ينظم التواصل بين الناس في شتى النظم والأعمال، ذلك أن المفاهيم لا ترسخ في الأذهان إلا بحسب الكلمات المتفق عليها لدى الناس أجمعين.

لذلك حظي المصطلح بأهميّة كبيرة في جميع المجالات ، وانطلاقا من هذه الأهميّة للمصطلح ارتأيت أن أخصّص هذه الدّراسة لمصطلح الأسلوب عند محمد عبد المطلب من خلال كتابه البلاغة والأسلوبيّة .

* المؤلف المرسل

1. المصطلح:

1.1. مفهوم المصطلح:

1.1.أ. المعنى اللغوي: يعود لفظ(مصطلح) المشتق من الفعل(اصْطَلَحَ) إلى الجذر (صلح) ويقال"الصلاح نقيض الطلاح، ورجل صالح في نفسه مصلح في أعماله وأموره، و الصَّلُحَ " بالضم وهو خلاف فَسُدَ"[1] والصُّلْحُ بالضم السّلم"[2]. وقد جاء في مادة(صَلُحَ) من معجم الوسيط: (أصْلَحَ) في عمله: " أتى بما هو صالح ونافع" وأصلح الشئ أزال فساده"[3]، أما مفهوم المصطلح في معجم تهذيب اللغة قال الأزهري:" الصّلح: تصالح القوم بينهم، والصلاح نقيض الإفساد، وتصالح القوم وأصّالحوا بمنى واحد"[4].

فالمصطلح مصدر ميمي من الفعل اصْطَلَح يصْطَلِحُ اصْطِلاحاً، ومعناه في اللغة الاتفاق والتوفيق، فهو كلمة خماسية (اصطلح) صيغته (صلح) مزيد بحرفين هما الألف والطاء التي أصلها تاء وتغيرت بعامل، وإذا حذفنا الزوائد بقيت الصيغة على ثلاثة عناصر هي: صَلُحَ[5].

وقد ورد في مقاييس ابن فارس أن(المصطلح) ينحدر من الجذر اللغوي(صلح):" فالصاد والام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد"[6]، كما ورد في(اللسان) أن الصلاح:" ضد الفساد والصّلح والسلم وقد اصطلحوا واصّلحوا واصّالحوا"[7].

وبناءاً على ما تقدم، نجد أن المعنى المتواضع عليه في المعاجم القديمة هو الاتفاق والتوافق والتصالح والتواضع وكل ما هو نقيض الفساد.

1.1. ب. المعنى الاصطلاحي: المقصود بالمصطلح " مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها أو بالأحرى استخدامها وحددّ في وضوح، وهو تعبير خاص ضيّق في دلالته المتخصصة، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة "[8].

فلفظ المصطلح يطلق في أوساط النّاس ليقصد به " المعنى الذي تعارفوا عليه، واتفقوا عليه في استعماله الخاص أو في أعرافهم الاجتماعية وعاداتهم السائرة، وتساعد الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية على أن تحمل كلمة ما معنى غير الذي وضعت له في أصل اللغة التي تنتمي إليها، ويسير هذا المعنى الجديد بين المتخصصين حتى تصبح في استعمالهم اليومي شيئا مألوفا ينسي معه ذلك المعنى اللغوي الأساسي"[9].

وبالرغم من كثرة التعريفات التي تتناول المصطلح إلا أنها تصب في مجرى واحد، وهي لا تخرج عن ذلك المعنى الذي يدل على" اتّفاق وإجماع المتخصصين المعينين على دلالته الدقيقة المناسبة لموضوعه المنقول عنه"[10].

تترادف كلمتي اصطلاح ومصطلح في اللغة العربية فالاصطلاح هو:" اتفاق طائفة على شيء مخصوص"[11] وهو أيضا" اتفاق أصحاب تخصص ما على استخدامه للتعبير به عن مفهوم علمي محدد"[12]، ويذهب الجرجاني إلى أن الاصطلاح هو:"عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول أو إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما وقيل الاصطلاح: اتّفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين"[13].

ومن خلال تعريف الجرجاني يتضح لنا سمتان أساسيتان من سمات المصطلح فهو لا يكون إلاّ عند اتفاق المتخصصين على دلالة دقيقة والشيء الثاني هو أن المصطلح يختلف عن الكلمات الأخرى نتيجة تغير دلالي يطرأ على الكلمة فيجعل لمصطلحاته دلالة خاصة في حقل خاص.

وفي المعجم الوسيط:" اصطلح القوم على الأمر تعارفوا عليه واتّفقوا"[14]

1.1.ج. تعريف المصطلح عند الغربيين:

المصطلح: " كلمة لها في اللغة المتخصصة معنى محدد وصيغة محددة وعندما يظهر في اللغة العادية يشعر المرء أن هذه الكلمة تنتمي إلى مجال محدد "[15].

وهناك تعريفات حديثة للمصطلح تربط المفهوم بالمصطلح الذي يدل عليه منها التعريف التالي: " المصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة(علمية أو تقنية) يوجد موروثا أو مقترضا ويستخدم للتعبير بدقة عن المفاهيم وليدل على أشياء مادية"[16].

فالتعريف السابق يجعل المصطلح غير مقصور على الكلمة المفردة، فالمصطلح قد يكون كلمة أو مجموعة من الكلمات ويوضح التعريف أيضا أن المصطلح يعبر عن المفاهيم والأشياء المادية.

1.1.د. المصطلح ومرادفاته الدلالية:

لقد عبرت اللغة العربية – قديما عن المفهوم ذاته (**مفهوم كلمة المصطلح**) بكلمات أخرى زيادة على كلمتي (اصطلاح) و(مصطلح) تفصح عنها عنوانات كثير من التصانيف التراثية التي أفردت لهذا الغرض المعرفي ومنها:(مفاتيح العلوم للخوارزمي)،

و(مفتاح العلوم للسكاكي) و(التعريفات للجرجاني)، واكتشاف اصطلاحات الفنون للتّهاوني)[17].

وقد جمع أبو عبد الله الخوارزمي – ضمنيا- أكبر قدر من المترادفات الاصطلاحية في مقدمة كتابه الذي ابتغاه جامعا لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، متضمنا ما بين كل طبقة من العلماء من المواصفات والاصطلاحات فكان في مجمله" أسامي وألقابا اخترعت، وألفاظا من من كلام العرب أعربت" وهكذا تترادف على المحيط الدلالي لكلمة (مصطلحات) كلمات أخرى من طراز(الاصطلاحات) و(الحدود) و(المفاتيح) و(الأوائل) و(التعريفات) و(الكليات) و(الأسامي) و(الألفاظ) و(المفردات)، وغيرها من المرادفات التي قد تنحصر دلالتها وينعزل استعمالها أمام هيمنة كلمتي(مصطلح) و(اصطلاح)[18].

2.1. شروط وضع المصطلح:

حتى يتمكن المصطلح أو التعبير الاصطلاحي من أداء المهام المنوطة به في علم اللغة لابد له من شروط وضوابط تحكم سيرورته وتقوم اعوجاجه ومن أهم هذه الشروط نذكر:

- ✓ الدلالة المحددة الواضحة داخل التخصص الواحد في حين لا يتحدد معنى الكلمات الأخرى إلا من خلال وقوعها في السياق وتجنب الدلالات للمصطلح الواحد[19]

- ✓ وجوب حصول مناسبة أو مشاركة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي إذ لا يمكن للمصطلح أن يوضع ارتجالاً[20]
- ✓ موافقة أهل الاختصاص ورضاهم عنه، لأنهم المعنيون به الذين سيشيعون استعماله وينبهون مستقبلا على الحاجة إلى تغييره أو تطويره وذلك عن طريق اجتناب كل الأشكال الفردية والذاتية في صياغة المصطلح[21].
- ✓ مراعاة المقتضيات اللغوية للغة المخصوصة من بناء صوتي وصرفي.
- ✓ الدقة والدلالة المباشرة: حيث كلتاهما تجعل المصطلح يختلف عن كلمات اللغة العامة فإذا كانت اللغة العامة تعتمد على الإيحاء والتعدد الدلالي، فإن المصطلح يعتمد على الدقة في الدلالة واجتناب الغرابة والغموض، فبمجرد ذكر هذا المصطلح نستحضر دلالته التي اتفقت عليها الجماعة[22].
- ✓ ضرورة توجيه العناية لعلم المصطلح تدريسا والمتخصصين فيد تدريبا إذ يتحتم علينا تكوين متخصصين في علم المصطلح يتلقون دراسة مكثفة في أصول اللغتين المنقول عنها والمنقول إليها، وتراثهما وقواعد القياس والاشتقاق وأن يطّلعوا على الترجمات الممتازة للروائح العالمية التي نقلت من إحداهما إلى الأخرى والغاية من كل ذلك" أن نضمن تكوين عناصر لها قدرة على انجاز أعمال مصطلحات بنظم مفهومية ولمجالات معرفية وبشرية محددة أو المساعدة على تذليل صعوبات الترجمة العلمية والتقنية"[23].
- ✓ كما ينبغي أن يتسم المصطلح بالوضوح إلى أقصى درجة ممكنة[24].

فالمصطلح" اسم قابل للتعريف في نظام متجانس ويكون تسمية حصرية ويكون منظما في نسق ويطابق دون غموض فكرة أو مفهوما ما ويتضمن هذا التعريف خمسة أمور لها شانها في بناء المصطلح واختيارها بدءا من التعريف، ذلك أن التعريف ضروري للمصطلح لتحديد دلالته وتمييزه عن غيره من المصطلحات، وأن يكون هذا التعريف متجانسا مع مصطلحات المجموعة التي ينتمي إليها فلا يبدو شاذا عنها أو نشازا فيها وأن يكون دقيقا في تعبيره عن المفهوم الذي سيشير إليه، فلا يوحي بمفهوم آخر. ولا يقصر عن الدلالة عن مفهومه... ولا يتعدى ذلك مفهوم مصطلح آخر وأن يتسم بالوضوح وهي أمور تلتقي ويتداخل بعضها ببعض، وهي في الوقت ذاته تتعاضد لتشكل الدعامة الأساسية لبناء المصطلح"[25].

وقد أثار الباحث أحمد مطلوب إيجاد شروط وضع المصطلح ضمن عوامل أربعة هي:[26]

- ➢ اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغوية الأولى.
- ➢ اتّفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية.
- ➢ وجود مناسبة أو مشاركة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي.
- ➢ الاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي واحد

2- مصطلح الأسلوب عند محمد عبد المطلب :

2-1 مصطلح الأسلوب عند القدامى :

وردت كلمة الأسلوب عند العرب القدامى فقد جاء في لسان العرب لاين منظور في مادّة " سلب" : "ويقال للسّطر من النّخيل أسلوب ، وكل طريق ممتدّ فهو أسلوب ، قال : والأسلوب الطّريق والوجه والمذهب ، يقال : أنتم في أسلوب سوء ، ويجمع أساليب ، والأسلوب الطّريق تأخذ فيه والأسلوب بالضمّ الفنّ ، يقال : أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه "[27] .

أمّا اصطلاحا فقد لفت اهتمام العديد من النّقاد والكتاب كابن قتيبة وعبد القاهر الجرجاني الذي ارتبط عنده الأسلوب بالنّظم : " هل يتصور أن ترتب معاني أسماء وأفعال وحروف في النّفس ،ثمّ يخفى علينا مواقعها في النّطق حتّى يحتاج ذلك إلى فكر وروية " [28].

فالأسلوب من أمّهات القضايا البلاغية العربيّة التّي تجسّدت من خلال درسها قدرة البلاغي القديم على التفطّن لسر جمالية الخطاب سواء أكان شعرا أو نثرا .[29]

والأسلوب أيضا : " طريقة التّعبير ، وقد قسّم الأسلوب إلى أسلوب أدبي وأسلوب علمي ، ولعلّ الموضوع الذي يتناوله الكاتب هو الذي يعطي أسلوبه ذلك الوصف أو ذاك، فعالم الطّبيعة أو الكيمياء أو الفلك هو الذي يعطي أسلوبه بوصفه الأسلوب العلمي ، والأديب القصاص أو الشّاعر أو الخطيب يتّخذ أسلوبه صفة الأسلوب الأدبي "[30] .

وقد عدّ الأسلوب "إضافة أو زيادة ، وهذا يعني أنّ الأسلوب شيء يضاف ، أو يزاد على اللّغة تدخل مكن تمييز به أو يدخل بها عبر ما يمكن تمييز الكلام بحضور سمة أو علامة من العلامات الأسلوبيّة ، وهذا يقتضي أو يستدعي في الوقت نفسه وجود تعبير محايد غير ذي أسلوب أولي له أسلوبه "[31].

كما عرض أيضا إلى محاولة ابن قتيبة حيث حاول إعطاءها مفهوما محددا في كتابه(تأويل مشكل القرآن الكريم) رابطا بين تعدد الأساليب والأفانين فيها ، وطرق أداء المعنى في نسق مختلف بحيث يكون لكل مقام مقال، فتعدد الأسلوب راجع إلى اختلاف الموقف ، وطبيعة الموضوع وكذا مقدرة المتكلّم وفنيّته ، أمّا الزّمخشري "فقد ربط بين التّأثير الانفعالي لدى المتلقي والخصائص التّعبيريّة في النّص الأدبي عامة نو القرآني خاصة ، وذلك بتحليله للنّص القرآني و استناده إلى مناهج البحث البلاغي من جهة والتّركيب النّحوي من جهة أخرى "[32].

أمّا عبد القاهر الجرجاني فيركّز على عملية الوعي في تركيب الأسلوب ويربطه بخاصية الاستعارة ، وكيفية الإتيان بها على شكل متفرد يميّز الأسلوب ويزيده جمالا ،كما يربط أيضا مفهوم الأسلوب بالخصائص التّعبيريّة .

وفي هذا الكتاب أيضا قدّم الأستاذ محاولة لدراسة الأسلوب من خلال ما جمعه من تراث قدّم الأستاذ محاولة في هذا المؤلف محاولة لدراسة الأسلوب من خلال ما جمعه من تراث قدّم في البلاغة ، أمّا الزّيات "فقد وقف موقفا وسطا بين التّمسك بالقديم ،و تقبل الجديد وكانت دراسته معتمدة على المقارنة ببين البلاغة القديمة ومفهوم

الأسلوب عند الغربيين ، وقد عرّف الأسلوب بقوله : طريقة الكاتب أو الشّاعر الخاصّة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام "[33] .

ودرس محمد عبد المطلب أيضا كتاب الأسلوب الذي ألّفه الأستاذ أحمد الشّايب حيث يعدّ من أكبر المحاولات في دراسة الأسلوب والبحث في مجالاته ، وهو عبارة عن ثمرة خبرة طويلة في معايشة البلاغة والنّقد القديمين ، كما تعرّض أيضا إلى كتاب فنّ القول للأستاذ أمين الخولي الذي كان من خلاله يهدف إلى التّجديد في ميدان البحث البلاغي ، وربطه بالمباحث الحديثة في مجال الأسلوب عند الغربيين[34] .

ويبيّن لنا أيضا الكاتب أنّ العقاد يوحّد بين حياة المبدع وفنّه أي أنّ الطبيعة الفنيّة الحقيقيّة هي التّي تجعل فنّ الشّاعر جزءا من حياته " فالصّناعة ليست مرفوضة عند العقّاد ، وإنّما يقبل منها ما يتّصل بالطّاقات الاختياريّة ذلك أنّ الاختيارات تكون محكومة عند المبدع بدوافع خفيّة تتجلّى عن طريق تجسّدها في مفردات ذات مواصفات صوتيّة تعكس قيما دلالية معيّنة "[35].

كما نظر الكاتب إلى البلاغة والأسلوبيّة : " أدرك أنّ البلاغة العربيّة قامت على جدليّة ثنائيّة بين الشّكل والمضمون ، وهذه الثّنائيّة فرعت مباحثها إلى اتّجاهات منها ما يهتمّ بالشّكل ، ومنها ما يهتم بصلة اللّفظ بمعناه ، وما يترتّب عن ذلك من خروج هذا المعنى عن حدوده التّي وضعت له ، أو انحراف المعنى عن اللّفظ ، فالبلاغة مثلت في كثير من جوانبها العلاقة بين الأسلوب والمعنى وصلة هذا الأسلوب بما تتعرّض له الجملة هو الذي يدخل تحت ما سميّ بعلم المعاني "[36].

من خلال تعرضنا لتعريفات الأسلوب في كتاب البلاغة والأسلوبيّة نجد أنّ مصطلح الأسلوب هو إنزال للقيمة التّأثيريّة منزلة خاصّة في السّياق ، وهو أيضا التّعبير اللّساني ، والطّريقة التّي يلجأ إليها الكاتب في كتاباته .

الهوامش :

[1]: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، مطبعة التقدم العلمية بدرب الدليل بمصر المحبة، الطبعة الأولى، 1322هـ . مادة(صلح).

[2]: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999 مادة (صلح).

[3]: مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، طبعة3،ج1، ص 1104.

[4]: بشير إبرير، إشكالية تدريس المصطلح في اللغة العربية، أعمال ملتقى اللغة العربية والمصطلح يومي 19-20 مايو- منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، عنابة، 2006، ص 110.

[5]: حاج علي عبد القادر، المصطلح الصوتي في شافية ابن الحاجب، موازنة بين المتن والشرح، جامعة وهران 2007/2006(رسالة ماجستير) ص04

[6]: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الفكر، ص 303.

[7]: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1997، ج1، ص 60 (مادة صلح)

[8]: محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، دار غريب للطباعة والنشر، ص 11.

[9]: إبراهيم السمرائي، في المصطلح الإسلامي، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1990، ص 8.

[10]: ينظر: فاطمة جرير، المصطلح الصرفي عند عبد الكريم الفكون من خلال شرحه لأرجوزة المكودي في التصريف، جامعة الشلف، 2009/2008، (رسالة ماجستير) ص 03.

[11]: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، دار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008 ص 221.

[12]: علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2008 ، ص 262-263.

[13]: الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، بيروت لبنان، ط1، 1991 ،ص 28.

[14]: مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ص 1105.

[15]: ممدوح محمد خسارة، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، دار الفكر، دمشق، 2008 ص 14.

[16]: محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 111.

[17]: ينظر يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 24.

[18]: ينظر: المرجع السابق، ص 25.

[19]: ينظر نوال حمود، واقع التعريب في العالم العربي- التعريب في ميسرة- كلية اللغة العربية جامعة الملك حداد، ص03.

[20]: ينظر: عوض محمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 23.

[21]: ينظر: مهدي صالح سلطان، المصطلح ولغة العلم، كلية الآداب جامعة بغداد، 2012 ، ص 73.

[22]: ينظر فاطمة جريو، المصطلح الصرفي عند عبد الكريم الفكون من خلال شرحه لأرجوزة المكودي في التصريف، كلية الآداب واللغات، جامعة الشلف 2008-2009، ص 04 (رسالة ماجستير)

[23]: يوسف منصر، شروط إنتاج المصطلح وصناعته، أعمال ملتقى اللغة العربية والمصطلح يومي 19-20 مايو، منشورات مخبر اللسانيات والغة العربية ،عنابة، ،2006، ص 326.

[24]: مصطفى الطاهر الحيادرة من قضايا المصطلح اللغوي العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2003، ص 17.

[25]: مصطفي الطاهر الحيادرة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، ص 17.

[26]: علي بوخاتم مولاي، مصطلحات النقد العربي السيميائي، 2003-2004، ص 43.

[27]: ابن منظور ، لسان العرب ، مادّة سلب – ص 225.

[28]: محمد عبد المطلب – البلاغة والأسلوبيّة - مكتبة لبنان ناشرون،ط1، 1999، 25.

[29]: محمد عبد الله جبر، الأسلوب والنّحو ، دراسة تطبيقيّة في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظّاهرات النّحويّة ، دار الدّعوة للطباعة والنّشر والتّوزيع ، ط1 ، 1409هـ- 1988م، ص5.

[30]:موسى سامع ربابعة ، الأسلوبيّة مفهومها وتجلياتها ، دار الكندي ،ط1، 2003، ص22.

[31]: محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبيّة، ص24.

[32]: ينظر ، محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، ص24.

[33]: المرجع السّابق ، ص ، 99

[34]: المرجع السّابق ، ص 99.

[35]: المرجع السّابق : ص 133-134.

[36]: المرجع السّابق : ص 260.